# هل الاســـلامُ والْمُسْلُمَانِيَّة

# (Müslümanlik)

## هما الشيءُ نَفْسُهُ؟



*** ***

**PART-01**

**ظاهرة الدين وأهميتها والحقائق التي تثيرها**

**The Phenomenon Of Religion, İts İmportance and The Facts İt Raises**


**تأليف**

**فريد صلاح الهاشمي**





Feriduddin AYDIN

feriduddin@gmail.com



**إسطنبول–2018م.**



دار العِبَر للطباعة والنشر

al_ibar.publishing@yahoo.com

## ظاهرة الدين وأهميتها والحقائق التي تثيرها

إن مفهوم الدين الحقيقي مستمدٌّ من الوحي الإلهي، وهو معاصر للإنسان. وبهذا الاعتبار فإن الدين قد خاطب الإنسانَ منذ وجوده على هذه الكرة الأرضية، وأثار فيه ملكة التفكير في أسرار الكون والحياةِ، ودرَّبه على مراعاة النظام، وكان الدين أحد العوامل الرئيسة بتأثيره العميق في توعية المجتمعات وتوجُّيهِهَا نحو التعاون والتفاعل والإنتاج. إن هذا الوضع لم يتغير حتى اليوم. لذا، فإن المخططين للتيارات الفكرية ومشجعيها المعارضين للتقديس، لم يتمكّنوا من تقليص أهمية الدين وتأثيره في أي فترة من التاريخ.

بعض المارقين يزعمون أن الإنسان هو الذي اختلق مفهومَ الدين بعد أن مرّ بالعديد من مراحل التطور البشري في التاريخ. يمكن تلخيص دفاعات هؤلاء على النحو التالي: "إن الإنسان كائن ذكي واجتماعي؛ بناءً على تجاربه في الفترة البدائية أراد ضمانَ سلامةِ نفسِهِ ضد عدوانٍ قد يناله من أحد بني جنسه. وهذا قد أجبره على الاتفاق معهم لوضع قواعد ومبادئ تجري على أساسها علاقاتهم المشتركة. اتفقوا بهذا الغرض على أن تكون لهذه القواعد والمبادئ قداسة تستوجب الاحترام لها. بدأت ممارسة العبادة المعروفة باسم "الدين" لأول مرة بهذا الدافع. ثم بمرور الوقت اكتسب هذا التقليد طابعًا مؤسَّسِيًّا بعد أن اتسع نطاقُه في المراحل اللاحقة وتم تشريع قوانين لكل مجالات الحياة على أساسه. وفي إطار هذه التشريعات نُظِّمَتْ العلاقاتُ الأخلاقيةُ والإنسانيةُ وفقًا لقوانين مُعيَّنة. كلها كانت في البداية على أساس الدين وتقديس الآلهة.

إن الدين – وفقا لهذا الإدعاء الساذج – هو نتاج العقل البشري القاصر عن إدراك مفهوم اللامحدود الذي يعبَّر عنه بكلمتي (الأزلية) و (الأبدية)[1]. لأنه من الواضح أن هذا الرأي لا يستقيم مع المنطق السليم. ولأن الإنسان يتأمل عادةً وبصورة متواصلة في أسرار الكون والحياة في حيرة وانبهار، بل تُرغِمُهُ فطرتُهُ أن يفكر في أعماق ضميره، فيعتبرَ كلَّ ما في هذا الكون (من عظيم ودقيق، وملموس وغير ملموس) هو عمل خالقٍ وبارئٍ وصانعٍ متعال ذي قوة عملاقةٍ جبّارةٍ متفوّقة. إن الإنسان لا يستطيع أن يتجاهل هذه الحقيقة. كما أن العقل البشري لا يمكن أن ينكر هذا الالتزام. في الواقع ثَمَّةَ آليةٌ استنتاجيةٌ في سجية الإنسان، تُدرك هذه الضرورة. وهذا هو الغرض

---

[1] الأزلية تعنى: اللاَّمتناهي في الماضي، والأبدية تعنى: اللامتناهي في المستقبل؛ وهما مفهومان معقّدان قد دارت حولهما ولا تزال مناقشات حادةٌ بين العلماءِ والفلاسفة عبر التاريخ ولم تصل بعد إلى اتفاق حاسم بينهم لقصور العقل البشري من الإحاطة بهما.

الرئيس للطبيعة البشرية. وجملة القول: إنه يجوز للمرء أن يكون في النهاية رَبُوبِيًّا (معترفًا بوجود خالقٍ) بعد أن يتجرَّدَ من كلِّ معتقداتِهِ، ويحل ربقةَ كل ديانةٍ من عنقه، لكنه يستحيل أن يظلَّ ملحدًا مخلصًا في إلْحَادِهِ وَمُقْتَنِعًا تمامًا. وإنما الإلحاد هو التردد بين الكفر والإيمان، وليس هو الثبوت على الإنكار المحض، إذ هو شبه مستحيل، لكن الإسلام قد عدّ هذا الاضطراب المتسلِّطَ على الوجدان ضربًا من الكفر.

التفكير والبحث والدراسة والسؤال والإجابة والتساؤل والفضول كلها أسباب للتعرف على المجهول والعثور على المطلوب عبر مسيرة الحياة. إن الذين يبحثون عن الحقيقة بهذه الوسائل العقلانية بدقة وحكمة، كثيرٌ منهم يظفرون بمآربهم دون عناءٍ وبتوفيق من الله. أما الذين يسلكون سبلا تتعارض مع هذه الاستراتيجية العقلانية الأساسية، وينسحبون من وراء المستغلّين للضمائر الخرافيين والدجاجلة بسبب الجهل أو الإهمال أو العناد، فإنهم يُحرَمون من الهداية. و"الهداية" هو مصطلح قرآني، فهي ليست في الحقيقة غير الإقرار بتوحيد الرب تعالى.. والتوحيدُ: إنما هو الغرض الوحيد من الدين. لكننا ينبغي هنا أن نُركّزَ على أن هناك علاقة وثيقة بين مفهومي "التوحيد" و"التوفيق". "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ."[2] وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ.[3] وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[4] وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.[5] وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُون.[6]

بعض الجريئين الذين تناولوا مفهوم الدين عن طريق الاختباء وراء صفة الأكاديمية، وأولئك الذين يدَّعوا أنهم باحثون محترفون! لقد استغلّوا "اللغةَ العلميةَ" لمجرد إنكار غريزة البحث والتساؤل عن وجود الخالق، وهي في الواقع سجية مُنْبَثَقَةٌ من الفطرة تتردد في الوعي الإنساني بتسلسل غير مُنْفَكٍّ عنه. يزعمون أن الدين قد اتخذ أشكالَهُ الحاليةَ عاقبةَ تَغيُّراتٍ طرأت عليه، واستحالاتٍ اعرَتْهُ مع الزمان، وذلك بالتوازي مع مراحل الحضارة الإنسانية." إنما يريدون بذلك: "إننا عندما نتأمل في

---

[2] القصص: 56
[3] المائدة: 48
[4] هود: 118،119
[5] النحل: 93
[6] الأنعام: 27،28

التعريفات الجدلية للديانات التي تأسست على مبدأ الإيمان، نجد تغيُّرًا مرحليًّا في تطور مفهوم الدين من "الطوطم ، إلى تعدد الآلهة ، إلى إله واحد ، إلى الإلحاد ، إلى الوجودية ، وأخيرًا إلى الديانات المعاصرة".

هناك رأي قد اتفق عليه معظم العلماء: وهو: "أن ضمير الإنسان لا يخلو من الانشغال بمفهوم الدين على الإطلاق." وإن أحدَ البراهين الذي يؤكِّد على هذه الحقيقة هو: أنَّ المعتنقين لمعتقدات مركَّبةٍ عَفَويَّةٍ، والذين ينكرون جميع الديانات المنتشرة في العالم، وأولئك الذين يزعمون أنهم ملحدون متحررون من جميع أشكال التقديس، لا تخلو قلوبهم من الريب تمامًا.

فمثلا؛ الغنوصيون، واللاأدريون، والرَّبوبيون. والملحدون والعلمانيون؛ لايستطيعون أبدًا أن يحرروا ضمائرهم من جميع المعتقدات الغيبية. إن عقولهم مشغولة باستمرار للعثور على إجابة للسؤال العتيد: "هل للكون من خالق؟" وهذا يُثبتُ أنَّ العلاقةَ القويَّةَ والطبيعيةَ التي تربط بين الضمير ومُبدِعِهِ لا يمكن قطعُها وبَتْرُهَا أبدًا. هذه هي الحقيقة التي يعتمد عليه أساس ظاهرة الدين. هذه الحقيقة مقنعة إلى حد كبير. لأنه من المستحيل أن يتعرف الإنسان على ذات الخالق جسديًّا. إذ ليس كمثله شيء، وهو مُنَزَّهٌ من جميع سِمَاتِ النقص والزوال... لكنَّ هذه هي النقطة الأكثر تعقيدًا فيما يواجهها الإنسان أثناء جدلياته واختباراته للحياة. وهذا هو مصدر الصراع بين الأديان في الوقت ذاته. لقد كان الجدل الدائر حول الدين حتى اليوم – بلا شك – ناجما من هذه الإشكاية.

إن الدين الذي أنزله الله على جميع رُسُلِهِ (سلام الله عليهم) هو الإسلام، لكنَّ هذا الدين في أي مرحلة من التاريخ لم يتمكَّنْ من الصمود أمام العقبات لفترة طويلة. بل على العكس من ذلك، فقد اعتمدته ونفَّذَتهُ فئةٌ قليلة من الناس لفترة قصيرة وحسب، ثم لم يلبث حتى شُوِّهَ وعُزِّلَ عن معالمه الأساسية بسرعة. إن المثال الأخير لهذه الحقيقة هو الإسلام الذي نقله القرآن وبلَّغه محمد صلى الله عليه وسلم. وحتى هذا الدين الأخير، فإنه لم يُكْتَبْ له الاستقرار، فلم يتيسر تنفيذُهُ على مستوى الدولة والمجتمع أكثر من 39 عامًا. ثم لم يتم تطبيق الإسلام رسميًا (ككل)، أو (ربما) لم يكن في الوسع تنفيذه بعد هذه الفترة. لأن الإسلام في الحقيقة هو نظام مثالي منقطع النظير، يُستَبعدُ تطبيقُهُ بحذافيره إلى حد كبيرٍ (وإن لم يكن تنفيذه مستحيلاً) وهذا يعني أن الإسلام وإن لم يكن نظامَ (المدينة الفاضلة)، لكنه مشروع إلهيٌّ رائع لتنظيم الحياة في مجتمع مثقف مهذَّب راق يستطيع أفراده أن يتناغموا معه بدون إشكال. إلاَّ أنَّ مثل هذا المجتمع البالغ من الصلاح والنقاوة والإخلاصِ يكاد

وجودُهُ مُحالاً، لغلبة الشك في أنْ يكونَ كلُّ فردٍ من أفراده عالمًا بحقيقة هذا الدين. إذ أنّ انقيادَ الفردِ لأحكامهِ عن طيبة القلب وحرصَهُ على مراعاة مبادئه إنما يتوقف على عمق معرفته بِكُنْهِ الإسلام، واستيعابه لما يشتمل عليه علومُ هذا الدين من أصولٍ وفروع، وأن يكون بجانب ذلك متصفًا بإيمان راسخ في القلب بوحدانية الله تعالى، ومتميِّزًا بذوقٍ سليم يجعله ينبهر لرصانة هذا النظام وما يتبني من العدالة وإحقاق الحق، وإنصاف المظلوم، وإحباط الباطل، وإرساء دعائم السلام ونشر الفضائل بين أفراد البشر في جمع أنحاء العالم. إلاَّ أنه من الصعب للغاية التنبؤ بأن الواحدَ في المائة من المجتمع فحسبُ، – وليس كُلَّهُمْ– يمكن أن يتمتَّعَ بهذه الشخصية المثالية. إنما النخبة الأولى من المجتمع الإسلامي فحسبُ كانت في الواقع تتميّز بهذه الصفات الفريدة.[7] وبعد أربعين عامًا، انهارت هذه النوعية الإنسانية الرائعة والفريدة واختفت إلى حد كبير.

لَمَّا تنازل آخر الخلفاء الراشدين حسن بن علي أبن أبي طالب عن منصب الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في **29** يوليو **661** من الميلاد، اختفى الإسلام تمامًا من مشهد التاريخ. أما في الوقت الراهن، فلا تزال المجموعات التوحيدية الصغيرة وحسب، تلتزم بقواعد الإسلام وتحاول الحفاظ عليها بجهودها الخاصة.

إن الدين الذي نقله محمد عليه السلام، هو أكثر شمولاً من أمثلة الإسلام التي بشر بها الأنبياء من قبله. لكنه قد فقد الكثير من صفاته الرائعة بسبب الاستغلال والاستفزازات والتفسيرات الشاذة المتطرفة التي تعرَّضَ لها على مر القرون. لقد تلاعب بالإسلام المغرضون من الملاحدة والفلاسفة والزنادقة والمنافين، فاختزلوا منه أشكالاً غريبة من الديانات والمذاهب والطرق الصوفية. فتحول الإسلام إلى نماذج مشوَّهةٍ ومتناقضة. فإن إحدى هذه الديانات المتطرفة هي "الْمُسْلُمَانِيَّةُ التركية **Müslümanlik**". هناك حقيقة مثيرة للاهتمام وهي أن هاتين الديانتين (أي الإسلام والْمُسْلُمَانِيَّة) غالباً ما تلتبسان على الحشود الجهلة. وللتمييز بسهولة بين الإسلام والْمُسْلُمَانِيَّةِ **Müslümanlik**، من المفيد الوقوف (بإيجاز) على بعض النقاط العامة والأساسية حول مفهوم "الدين".

[7] يؤكد الأديب المصري طه حسين (رغم ما يُعَدُّ الرجل من مشاهير الزنادقة في نظر كثير من المتشددين)، يؤكّد على هذه الحقيقة بقوله. "وأكاد أعتقد أن الخلافة الإسلامية، كما فهمها أبو بكر وعمر، إنما كانت تجربة جريئة توشك أن تكون مغامرة، ولكنها لم تنتهِ إلى غايتها، ولم يكن من الممكن أن تنتهي إلى غايتها؛ لأنها أجُريت في غير العصر الذي كان يمكن أن تُجرى فيه، سبق بها هذا العصر سبقًا عظيمًا. وما رأيك في أن الإنسانية لم تستطع إلى الآن، على ما جربت من تجارب وبلغت من رقي، وعلى ما بلغت من فنون الحكم وصور الحكومات، أن تنشئ نظامًا سياسيًّا يتحقق فيه العدل السياسيوالاجتماعي بين الناس على النحو الذي كان أبو بكر وعمر يريدان أن يحققاه!" المصدر: طه حسين، الفتنة الكبرى، الجزء الأول، ص:**9**. مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة **2012**م–القاهرة.

هنا يجب أن نذكر أولاً وباختصار ميزات الدين الحقيقي:

**1)** إن الدين الحقَّ لا يختص بمجتمعٍ دون بقية الناس من الأسرة البشرية، بل يتميز بالشمول والعالمية. لأنه إذا أُضْفِيَتْ عليه الصبغةُ القوميَّةُ فإنه يخرج من نطاقِ الدين، فيتحوَّل إلى رُكَامٍ من العادات والقاليد والبِدع والخرافيات، وإلى الإلحاد التاريخي القديم (أي عبادة الآلهة) وإلى الأيديولوجية والثقافة... فالْمُسْلُمَانِيَّةُ (**Müslümanlik**) واليهودية هما مثالان الأكثر لفتًا للانتباه على ذلك.

**2)** الدين الحق لا يتصف بالتاريخية historicity، أي لا تتغير مبادؤه العالمية تبعًا للمتغيرات الزمنية عبر مراحل التاريخ، لأنه يتجاوز مفهوم الزمان ويفوفه على الإطلاق؛ وهو أصلا موافق لكل زمان ومكان.

**3)** الدين الحقيقي ليس مجرد علاقة بين الله والإنسان، لكنه سلسلة من المبادئ والقوانين والأحكام التي تحيط بكل أشكال الحياة.

**4)** للدين الحقيقي جبهتان يُكمل أحدُهما الآخرَ: الإيمان الخالص من شوائب الإشراك، والعمل الصالح؛ فالجانب الإيماني للدينِ المتعلِّقُ بالخمس المغيبات التي أستأثر الله بعلمها، غيرُ معقولٍ (أي خارجٌ عن نطاق الإدراك بالعقل البشري). فيجب على المرء أن يكونَ مقتنعًا بهذا الجانب مستسلمًا، حنيفًا، مخلصًا، غير شاكٍّ أو متردد فيما جاء به الوحي، وأن يبذلَ جهودَهُ بالتضحية للامتثال بالعمل الصالح. وإلا، فإنَّ الدِين يضمحلُّ أو يتحوَّلُ إلى دين آخر مثل اليهودية، والمسيحية، والْمُسْلُمَانِيَّة (**Müslümanlik**)... فقد انفصلت هذه الديانات الثلاث عن الإسلام لانتفاءِ الإيمان والعمل الصالح في تعاليمها، كما انفصلت عنه ديانات أخرى فانبثقتْ وتفرَّعت بعضها عن الْمُسْلُمَانِيَّة.

**5)** هناك من يريدون تشويه الدين الصحيح واستغلالَه لأغراض مختلفة في ربوع المجتمع الإسلامي، فسيكون لهم حضور بعد اليوم أيضًا. (مثل الصوفية "النقشبنديّين" بخاصَّةٍ، والإخوانيين، والوهابيين، والشيعة، والسلفية، والعلويين، والكماليّين (الأتاتوركيّين). إن الديانة الْمُسْلُمَانِيَّةَ (**Müslümanlik**) تشتمل على تفسيرات ومعتقداتٍ متباينة ومُتناقضةٍ تغذّت بها وانطلقت منها أكثر هذه الجماعات

المتطرفة). لذلك يجب أن يكون المؤمنون بالدين الحقيقي (أي المسلمون المخلصون) على حذرٍ، ومتنبهين لمخاطرها. أما الذين ليس لديهم هذا القلق، فإنّهم معرَّضون للوقوع في كمائنها في أي لحظة !!

يُقسَمُ الأديان إلى فئتين رئيستين:

1) الأديان السماوية: وهي الديانات التي أوحى الله إلى رُسُلِهِ، فقام كل منهم بتبليغ ما أوحِيَ إليه حرفِيًّا، ودعى الناسَ إليه. على سبيل المثال، فإن موسى بن عمران، والمسيحُ ابن مريم، ومحمد بن عبد الله عليهم الصلاة والسلام، هم من هؤلاء الرسل. و"الأديان السماوية" تعني: " الأديانَ التي نَزَلَتْ من السماء"، لكنَّ هذا التعبيرَ مجازِيٌّ. والمقصودُ منه: أن هذه الأديانَ قد أوحِيَتْ من قِبَلِ الله تعالى إشارةً إلى سُمُوِّهِ وَعُلُوِّهِ عزَّ وَجَلَّ. لكنَّ ذلك لا يعني أنَّ هذه الأديان قد انحدرت من السماء جسديًّا وفي أبعاد ملموسة. إنَّ حَدَثَ الهبوط ينشط عادةً في الخيال البشري كما لو أن الجسم ينحدر من أعلى إلى أسفل. وذلك، لمَّا كان من المستحيل اسنادُ المكانِ والجهةِ إلى الله تعالى، فإن استخدام كلمة السماوية في التعبير ليس هو بمعنى الهبوط من الأعلى، لما يتعارض ذلك مع تنزيهه عز وجل..

إن الأديان السماوية لمّا كان جميعُها من المصدرِ نفسِهِ، – وفقًا للقرآن – فقد دخل كلها تحت مسمّى الإسلام. نعم، إنَّ كلَّ الأديان التي بلّغها رُسُلُ الله من آدم إلى محمد – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – ودَعَوا الناسَ إليها، هو الإسلام نفسُهُ. لكنَّ من المثير أنَّ جميعَ الأديان قد تلاعبت بها أيدي العبث، وحتى أسماؤها قد حُرِّفت، (مثل اليهودية والمسيحية...) ما عدا الدين الذي بشر به محمد عليه السلام، فإنه بقي إسلامًا في حدود القرآن، رغم أنه حرِّفَ هو الآخر في مجال التنفيذ.

يجب التأكيد بهذه المناسبة على أن الكثير من المنظمات السرية والمدمرة قد حاولت أيضًا إجراء تغييرات مختلفة على هذا الدين الأخير (أي على الإسلام). فظهرت العديدُ من الديانات تحت مسميات دخيلة، مثل الْمُسْلُمَانِيَّة "**Müslümanlik**" (وهي الديانةُ المنتشرةُ في تركيا)، والنصيريةِ، والشيعيةِ، والدرزيةِ، والبهائةِ، والقاديانية؛ ومنها ما عُدَّ من "المذاهب" ومنها ما أُدخِلَ في قائمة

"الطرائق الصوفية"[8] كالطريقة النقشبندية، والقادرية، والرفاعية، والقلندرية، والبكتاشية، والمولوية، والأكبرية، والأسمرية، وكثير غيرها... إن هذا العدد من الديانات المختلَقَة، والمذاهب والطرائق الصوفية إنما هي غيض من فيض. يجب التأكيد أيضًا على أن الْمُسْلُمَانِيَّة (**Müslümanlik**) من بين هذه الدياناتِ المصطَنَعَةِ كانت ولا تزال أكثرَ الدياناتِ تدميرًا للإسلام. (فيما يلي، سوف نتناول هذه المشكلة بالتفصيل مجددا إن شاء الله تعالى.)

2) إنَّ الأديان البشرية: هي التي قام بتخطيطها وتصميمها أربابُ نظريات باطنية، مثل المعروفين بين الناس بالأولياءِ والقديسين والكهنة الذين لا علاقة لهم بالوحي. تُعَدُّ الْمُسْلُمَانِيَّة (**Müslümanlik**) والشامانيةُ والزرادشتيةُ والمانويةُ والمزداكيةُ والهندوسيةُ والبوذيةُ والشنتويةُ والكونفوشيوسيةُ والسيخ من هذه الديانات المصطنعة.

الإيمان هو العنصر الأوضح والأقوى الذي يمكن التمييز به بين الأديان الحقيقية عن الأديان المصطنعة. والإيمان هو أكبر سمات الأديان السماوية. لا يوجد محل للإيمان في الأديان البشرية. إنَّ الإيمانَ في الإسلام – على وجه الخصوص – نظام وجداني يقوم على مبادئ أساسية رصينة. وهو دعامةٌ أساسيةٌ في الدين.

الأديان البشرية خالية من عنصر الإيمان. إنها لا تعتمد على أسس منهجية. ويمكن في الوقت نفسه، تعريف هذه الديانات وتفسيرُ تعاليمها بصِيَغٍ مختلفة ومتشاكسة على حسب ما يحلو لكل شخص من منتسبيها، كما لا يتورع رهبانها عن اختلاق ما يشاءون من أشكال الطقوس والأدعية والأذكار لها. هذه الديانات في الحقيقة ركام من معتقدات خليطة ومقتبسة من مختلف الأديان والفلسفات والتقاليد. لذا، لا يوجد هيكل منهجي في الأديان المنبثقة من الخيال البشري، ولذا تتدهور بسرعة وتتغير بسرعة.. وأبرز مثال على هذه الأديان هو الْمُسْلُمَانِيَّة (**Müslümanlik**).

هذا، وإذا تأمَّلتَ في الديانة الْمُسْلُمَانِيَّة (**Müslümanlik**) ستجدها مشابهةً جدًّا للإسلام بصورتها الخارجية. ستجد فيها الصلاة والصومَ والحجَّ والزكاةَ وكل أشكال العبادة الإسلامية، كلها مُقتَبَسَةٌ من الإسلام. إلاَّ أنَّ أسماءَ طائفة من هذه العبادات قد تعرّضت للتشويه في هذه الديانة الزائفة.

---

[8] ظهرت العديد من المذاهب نتيجة للتفسيرات والإجتهادات التي أدلى بها العلماء حول معاني آيات القرآن. منها ما جاء موافقًا مع روح القرآن ، مثل المذهب الحنفي والشافعي والحنبلي والماليكي... لكن المذاهب من هذا القبيل عددها قليل جدا. أما بالنسبة للتيارات الصوفية (الطرائق) ، فكلها هياكل تتناقض مع روح الإسلام ولا علاقة لها بالإسلام إطلاقًا.

على سبيل المثال قد تم تحريف اسم الصلاة إلى "نَمَازْ namaz"، واسم الصوم إلى "أُرُوج oruç"، واسم الوضو إلى "آبدست abdest"، واسم الأضحية إلى "كُورْبَانْ kurban" وهي محرفة من (قربان). وثَمَّ مصطلحات أخرى قد تم تحريفها، كما قد حُرِّفَ اسم صلاة الجنازة إلى (cenaze töreni). وإنّه من السهل جداً الخلط بين الإسلام والْمُسْلُمَانِيَّة (**Müslümanlik**) بسبب هذا المظهر الخارجي المربك. على وجه الخصوص، فإن العربَ الوافدين إلى تركيا والأغرَّةَ من شبانهم الذين يأتون للدراسة في الجامعات التركية، معظمهم يقعون بسهولة في هذا الكمين. وليس من القليل من خدعهم الصوفية فزوّجوهم من فتياتهم.

بهذه المناسبة، يجدر التأكيد مرة أخرى على أنه لا محل لعنصر الإيمان في الديانة الْمُسْلُمَانِيَّة (**Müslümanlik**). والبرهان على ذلك؛ أنه صدر بعضُ الكُتُبِ في تركيا بعنوا (علم حال ilmihal)، فيها أبواب من فقه العبادات ومسائل الحلال والحرام، لكن الغالبية العظمى من سكان هذا البلد لا تهتمّ بها غير قلّةٍ منهم. تجد في تعاملهم مع الدين اضطرابًا شديدًا، على سبيل المثال، لا يصلي الكثير من المسلمانيّين (أي المعتنقين لديانة **Müslümanlik**)، لكنهم يصومون كعادةٍ منتشرة، اتّباعًا وتقليدًا لأسلافهم. وتدمن كثرةٌ بالغة منهم على المشروباتِ الكحوليَّة ولكنهم لا يأكلون لحم الخنزير، كذلك يزعم جموعٌ غفيرة من المسلمانيّين أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم في الوقت نفسه، يؤمون بالتماثيل والآثار والمقابر والأضرحة على أنها مقدسة، يمتثلون أمامها كشكل من العبادة يتضرّعون إليها، ويطلبون منها الشفاعة واستجابة دعواتهم، فيشركون بالله بهذه التصرفات الشاذة. وكثير من النساء المسلمانيَّات يَرْتَدِينَ الحجاب، ولكنّهنَّ لا يراعين آدابَ الحجاب، لأنهن أصلا لا يؤمنَّ بالحجاب. فقد ثبت وفقًا لاستطلاعات سرية، أنَّ الكثير من المسلمانيّين يرتكبون جرائم الزنا باستمرار، لكنهم سرعان ما يعمدون إلى الطهارة من الجنابة عقب كل مرة من هذه الفاحشة. وبالاختصار؛ فإن انتفاءَ عنصر الإيمان في الديانة الْمُسْلُمَانِيَّة قد ترك المجال لكل فرد من المسلمانيّين أن يحدد من تلقاء نفسِهِ طريقةً مستقلة للتديُّن.

***

إنَّ الغالبية العظمى من الناس تعتمد على أي دين من الديانات بمحض التقليد للأسلاف. ثبت ذلك اعتمادً على التقرير الذي نشره مركز بيو (Pew Research Center) للأبحاث في الولايات المتحدة في عام **2010**م. أنَّ **8** من كل **10** أشخاص يعتنقون واحدةً من الديانات. هذا الاكتشاف يدل على أنَّ الدين لا يزال يحتفظ بأهميته في أيامنا. إن إنتشار عديدٍ من الدياناتِ مثل

المسيحيةِ واليهوديةِ والْمُسْلُمَانِيَّة (**Müslümanlik**) والهندوسيةِ والبوذيةِ وكذلك الإسلامِ (كديانةٍ لأقليةٍ صغيرةٍ) يبرهن على هذه الحقيقة. ومع ذلك، فإن تحديد عدد الأديان الموجودة حاليًا في العالم غير متاح. هذه هي أيضا حقيقة مثيرة للاهتمام.

هل يجب على الإنسان أن يعتنقَ دينًا معينًا، أو هل يحتاج إلى ذلك؟ لطالما دار النقاشُ حول هذه المسألة وسوف يدوم على امتداد الزمان الآتي. هناك أيضا إجابات متناقضة على السؤال: "هل ثم شخصٌ أو أشخاصٌ متحررون لا يعتنقون أي ديانة على اختلافها. كل هذا اللغطُ والفوضىَ الفكريةُ تشيرُ إلى أنَّ معظمَ الناسِ هم رعاعٌ وأوغادٌ وجهلةٌ، وهم مضطربون ومختلفون في مسألة الدين.

إن النزاع القائم بين الأديان قد أدى إلى صراعات وصدام وحروب ضارية بين المجتمعات من قديم الزمان إلى يومنا هذا. وصحائف التاريخ مليئةٌ بأمثلةٍ لهذه الأحداث. كمعركة أُحُدٍ وَبَدْرٍ وَحُنَيْنٍ و«الحروبِ الصليبيةِ» واستيلاءِ المغول على معظم الوطن الإسلامي، والمذبحةِ البوسنية... بصرف النظر عن هذا، فقد جرت اختلافات وقتال حتى بين الطوائف التي تشترك في المعتقدات وتجمعها دين واحد. على سبيل المثال: اندلعت مذبحة القديس بارتيليمي Saint-Barthélemy في فرنسا في **24** أغسطس **1572**م. وحادثة «Great Kackgun» التي اندلعت في الأناضول العثمانية بين **1606–1610**م. والمذابح التي تعرضت لها القطاع العلويُّ في بداية العهد الجمهوري. والثورة التي قامت بها العصابة الفتوشية ضد الحكومة النقشبندية في **16** يوليو **2016**م. يمكن ذكر هذه الأحداث كأمثلة على المشكلة.

إن مذبحة القديس بارتيليمي هي في الحقيقة معركة مذهبية بحتة، أما بالنسبة لحادث Great Kackgun، فإنها (بسبب الخطر الذي يهدد حياة الباحث!) يُسْنَدُ اليوم إلى أسباب اقتصادية! إذ لا يمكن البحث في هذا الحدث بمعنى واقعي – في الظروف الحالية! إن الحروب المذهبية التي تجري في الشرق الأوسط اليوم أيضًا (رغم أنها تُسْنَدُ إلى أسبابٍ خارجيَّةٍ)، لكنها أساسًا ناشئة من الخلافات الدينية بين الشعوب التي تعيش في هذه المنطقة. إن هذه الأحداث في واقع الأمر تبرهن على أن مفهوم الدين له أهمية كبيرة في يومنا.

بدافع هذه الأهمية، فقد أثارَ الأمرُ الأفرادَ والمنظماتِ والحكومات إلى استخدامِ المشاعرِ الدينيةِ كسلاح. لذلك، فأنَّ اتخاذ مفهوم الدين كوسيلة للانتقامِ والاستغلالِ هو أكبر تهديدٍ على حياة الإنسان. وليس من الشطط القول: بأنَّ الْمُسْلُمَانِيَّة **Müslümanlik** من بين جميع الأديان المحرفة

أو المختلَقَة، هي الأكثر متاحًا للاستغلال بهذه الأغراض الخطيرة. ومن الملفت، أنَّ أيَّ باحث لم يتجرأ على تناول هذه المشكلة حتى اليوم خوفًا على حياته! كما أنّ أي مستشرق لم يستحسن أن يعبث بهذه القضية، لكي يبقى الأمرُ في طي الكتمان وفقًا لطموحتا الحلف المسحي–الصهيوني. لإن غيابَ كتابٍ موضوعي ومنهجي عن موقع الدين ودوره في الحياة الاجتماعية على الساحة تركيا يُعَدُّ سدًّا مانعًا لمناقشة هذا الموضوع الخطير. ويبقى الغرب مستفيدًا من وراء هذا السر. ومن المثير للاهتمام جدًّا أن تظل أسرارُ الديانة الْمُسْلُمَانِيَّةِ **Müslümanlik** في طي الكتما على مدار ألف سنة تنتظر لتفتضحَ في هذه الأيام وتُعلَنَ على رؤوس الأشهاد بأنها ليست من الإسلام في شيء!

***